التفسير الإشاري
تفسير التستري ـ أنموذجاً ـ

د/ فاطمة عبد الغفار إبراهيم الحاج (*)

ملخص البحث

يُعنى هذا البحث بدراسة التفسير الإشاري . تفسير التستري أنموذجاً، حيث تتمحور مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية: ما المراد بالتفسير الإشاري، وما حكمه؟ وما منهج التستري في تفسيره؟

وما المآخذ على التستري في تفسيره؟ وما الآيات التي فسرها التستري بالتفسير الإشاري؟ وتتمثل أهمية البحث في أن دراسة هذا النوع من التفسير الناتج عن المعتقدات المنحرفة، والتأويلات الباطلة، يستدعي دراسته ومعرفته. وضرورة معرفة التفسير الإشاري وأنه من التفاسير المنحرفة، ومعرفة الآيات التي فسرها التستري بالتفسير الإشاري ليتجنبها الناس. ويهدف البحث إلى: تعريف التفسير الإشاري، وبيان حكمه، وبيان منهج التستري في تفسيره، ومعرفة المآخذ على التستري في تفسيره، وبيان الآيات التي فسرها التستري بالتفسير بالإشاري، والمنهج المتبع هو المنهج الاستقرائي وذلك باستقراء تفسير التستري، والاستنباطي التحليلي لاستنباط الآيات التي فسرها وتحليلها؛ لبيان تفسيره الإشاري المنحرف، واشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحثان، وخاتمة اشتملت على أبرز النتائج التي توصل إليها البحث منها: أن تفسير التستري من قبيل التفسير الإشاري والصوفي معتمداً في ذلك على مذهبه، وأغلب تفسير التستري من قبيل التفسير الإشاري المنحرف.

كلمات مفتاحية: الإشاري، التستري، التفسير، المفسرون.

(*) أستاذ مشارك بقسم القرآن وعلومه ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم.
fatmaelhaj2007@gmail.com

Research Summary:

The research explores the deviant indicative interpretation, specifically the concealing interpretation model. The research problem aims to address the following questions: What is the significance of indicative interpretation and what is its verdict? What approach did the concealing interpretation adopt in interpreting the indicative interpretation? What are the criticisms of the concealing interpretation? Which verses did the concealing interpretation explain using indicative interpretation? This research holds significant importance as studying this interpretation, which originates from deviant beliefs and false interpretations, requires thorough understanding. It is crucial to comprehend the indicative interpretation, recognize it as a deviant interpretation, and be aware of the verses that the concealing interpretation interpreted with indicative interpretation to avoid misconceptions. The primary objective of this research includes defining the indicative interpretation, elucidating its verdict, explaining the approach of the concealing interpretation to its interpretation, identifying the criticisms of its interpretation, and analyzing the verses it interpreted using indicative interpretation. The research methodology encompasses an inductive approach that involves extrapolating the concealing interpretation and an analytical deductive approach to deduce and analyze the verses it interpreted to depict its deviant indicative interpretation. The research has a preface, two substantive sections, and a conclusion that encapsulates the most significant findings, including the resemblance of the concealing interpretation to indicative and Sufi interpretation relying on his doctrine, and characterizing most of the concealing interpretation as a deviant indicative interpretation.

Keywords: Indicative, concealing, interpretation, interpreters.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن من أجلّ العلوم وأشرفها علم التفسير، فإن شرف العلم بشرف المعلوم، وذلك لتعلقه بكتاب الله – تعالى – كما أن الله أنزل القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعهد بحفظه من التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وأمره ببيانه وتوضحيه قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤]، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[النحل:٦٤]، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم:٤]، ومَا لم يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم بينه صحابته، والتابعون من بعدهم رضي الله عنهم جميعاً فأصبح علم التفسير هو الوسيلة التي تعين على فهم كلام الله عز وجلّ، والوصول إلى المراد منه، وفي ذلك روى الإمام البخاري في صحيحه عن وهب بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: "قُلْت لِعَلِيّ رضي الله عنه: هل عِنْدَكم شيءٌ من الوحي إلا ما في كتابِ اللهِ؟ قال: والذي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأ النَّسَمَةَ، ما أعلمُهُ إلا فهماً يُعْطيهِ اللَّهُ رجلًا في القُرْآنِ، وما في هذهِ الصَّحيفَةِ. قُلْتُ: وما في الصَّحيفَةِ؟ قال: العَقْلُ، وفَكاكُ الأسيرِ، وأنْ لا يُقْتَلَ مُسلمٌ بِكافِرٍ"(١)، والله سبحانه وتعالى سخّر علماء أجلاء لتفسير كتابه وبيان معانيه، وفقاً لشروط وضوابط التفسير، وفضّلهم وميّزهم عن غيرهم من العباد، ورفع درجاتهم، وبيّن لهم

(١) أخرجه البخاري . باب فكاك الأسير، (٦٩/٤)، ح (٣٠٤٧).

السلوك القويم الصحيح الواجب إتباعه، إلا أن بعض علماء التفسير أحياناً يفسروا بعض آيات القرآن بالرأي المجرد؛ وتفسيرهم بالرأي ربما يكون لأجل الانتصار لمعتقد معين، أو لنشر أفكار خاطئة، فوقعوا في التفسير المنحرف ومن أمثال هؤلاء العلماء الإمام سهل بن عبد الله التستري صاحب تفسير القرآن العظيم، المعروف بتفسير التستري ؛ لذا رأيت أن اكتب بحثاً أبين فيه نماذج لتفسيره الإشاري المنحرف، وبيان الانحرافات التي نتجت عنه لأجل الانتصار لمعتقده الصوفي ووسمته ب(التفسير الإشاري . تفسير التستري . أنموذجاً .) .

مشكلة البحث:

١. ما المراد بالتفسير الإشاري، وما حكمه؟

٢. ما منهج التستري في تفسيره؟

٣. ما المآخذ على التستري في تفسيره؟

٤. ما الآيات التي فسرها التستري بالتفسير الإشاري؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. أن دراسة هذا النوع من التفسير الناتج عن المعتقدات المنحرفة، والتأويلات الباطلة، يستدعي دراسته ومعرفته.

٢.. ضرورة معرفة التفسير الإشاري وأنه من التفاسير المنحرفة.

٣. ضرورة معرفة الآيات التي فسرها التستري بالتفسير الإشاري ليتجنبها الناس.

أهداف البحث:

١. تعريف التفسير الإشاري، وبيان حكمه.

٢. بيان منهج التستري في تفسيره.

٣. المآخذ على التستري في تفسيره.

٤. بيان الآيات التي فسرها التستري بالتفسير بالإشاري.

حدود البحث:

دراسة نماذج من تفسير التستري، مقارنة بأقوال المفسرين معتمدةً على التفسير الإشاري، بعيداً عن المقاصد.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في فهرس الجامعات السعودية ومراكز البحوث ومحركات البحث؛ وقفت على دراسات حول هذا الموضوع وهي كالتالي:

الدراسات تناولت التفسير الإشاري:

ـ بحث محكم بعنوان التفسير الصوفي الإشاري للقرآن الكريم منهج الاستنباط والدلالة (كلمة الأرض نموذجاً) الدكتور علي حسين عكاش مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية العدد السابع عشر .٢٠٠٨م . كلية العلوم والآداب بزليتن . جامعة المرقب .

ـ مقال بعنوان: التفسير الإشاري –دراسة تأصيلية– عبد الفتاح بن صالح قُدَيش اليافعي . اليمن . صنعاء ـ

ذو الحجة ١٤٢٦هـ.

ـ بحث بعنوان التفسير الإشاري بين المجيزين والمانعين، لأمير حسن ـ مجلة الفنون والآداب وعلوم الإنسانيات والاجتماع ـ الأمارات ٢٠١٩م.

الدراسات تناولت تفسير التستري:

ـ رسالة ماجستير بعنوان أخطاء عقائدية في تفسير التستري، للباحثة سلام حجازي، الجامعة الإسلامية بغزة. . ٢٠١٤/ تناولت الباحثة في رسالتها الأخطاء العقائدية، بينما دراستي عن تفسير الآيات بالإشارة.

ـ رسالة دكتوراه بعنوان التفسير الإشاري في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية على منهج الإمام سهل بن عبد الله التستري للباحث مأمون حسين . جامعة أم درمان الإسلامية . كلية أصول الدين . ٢٠١٧.وذكر الباحث في رسالته أن التستري كان

على منهج أهل السنة والجماعة في تفسير الآيات، بينما تناولت في دراستي الآيات التي فسرها تفسيراً إشارياً منحرفاً.

. رسالة ماجستير بعنوان التفسير الإشاري في تفسير (التستري) من فاتحة الكتاب حتى نهاية سورة التوبة: دراسة وصفية تحليلية للباحث حافظ عبد الله . جامعة أم درمان الإسلامية . كلية أصول الدين . ٢٠١٨. رسالة الباحث من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة التوبة، بينما دراستي تناولت آيات متفرقة من القرآن الكريم كنماذج لتفسير التستري بالإشارة، والسور التي أخذت منها آيات وهي في نطاق الرسالة لم يتناول الباحث الآيات التي تناولتها، وذكر الباحث قول التستري في الآيات وأقوال العلماء عن تفسيره، بينما ذكرت في دراستي قول التستري في الآية، وأقوال العلماء المعتبرين في تفسير الآية ثم قارنت بين قول التستري وأقوال العلماء.

منهج البحث:

المنهج المتبع هو المنهج الاستقرائي وذلك باستقراء تفسير التستري، والاستنباطي التحليلي لاستنباط الآيات التي فسرها وتحليلها؛ لبيان تفسيره الإشاري المنحرف.

إجراءات البحث:

أولاً: الإجراءات الخاصة بالدراسة:

١. نماذج للآيات التي فسرها التستري.
٢. ذكر قول التستري في تفسير الآية.
٣. بيان أقوال المفسرين في تفسير الآية.
٤. مقارنة أقوال المفسرين مع قول التستري.
٥. الخلاصة.

ثانياً: الإجراءات العامة:

١. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث.

٢. تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية في كتب السنة، وإذا كانت في الصحيحين أو أحدهما، فإني أكتفي بذلك، وإلا خرجته من أحد مظانه.

٣. توثيق النقول والأقوال من مصادرها الأصلية، فإن لم أجدها فمن أقرب المصادر إليها.

٤. التعريف بالمصطلحات والكلمات الغريبة الواردة في سياق البحث إن وجدت.

٥. فهرس المصادر والمراجع

خطة البحث: يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحثان، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي: **المقدمة:** وفيها: مشكلة البحث، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: التعريف بالتستري، وتفسيره، ومنهجه.

المبحث الأول: التعريف بالتفسير الإشاري، وأقوال العلماء فيه، وبيان حكمه.

المبحث الثاني: دراسة نماذج من تفسير التستري.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج وأبرز التوصيات.

التمهيد: التعريف بالتستري، وتفسيره، ومنهجه.

أولاً التعريف بالتستري:

اسمه ونسبه ومولده:

هو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التُسْتَري، ويكنى أبو محمد، والتُّسْتري نسبة إلى مدينته تُسْتَر[1]، وولد بها في سنة مائتين.

مذهبه:

يعد التستري أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال[2]، ومن عباراته الصوفية ما قاله تلميذه أبي بكر الجوربي، يقول: "سمعت أبا محمد سهل بن عبد الله، يقول: أصولنا ستة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق وقال: من كان اقتداؤه بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء ولا يجول بقلبه سوى ما أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وسئل: هل للمقتدي اختيار بالاستحسان؟ قال: لا إنما جعل السنة واعتقادها بالاسم ولا تخلو من أربعة: الاستخارة والاستشارة والاستعانة والتوكل فتكون له الأرض قدوة والسماء له علما وعبرة، وعيشته في حاله، لأن حاله المزيد، وهو الشكر، وقال: أيما عبد قام بشيء مما أمره الله به من أمر دينه فعمل به وتمسك به فاجتنب ما نهى الله تعالى عنه عند فساد الأمور وعند تشويش الزمان واختلاف الناس في الرأي والتفريق إلا جعله الله إماما يقتدى به هاديا مهديا قد أقام الدين في زمانه وأقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الغريب في زمانه الذي قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تُسْتَر: بالضم ثم السكون، وفتح التاء الأخرى، وراء: أعظم مدينة بخوزستان اليوم، وهو تعريب شوشتر وقال الزّجّاجي: سمّيت بذلك لأن رجلا من بني عجل يقال له تستر بن نون افتتحها فسميت به وليس بشيء، والصحيح ما ذكره حمزة الأصبهاني قال: الشوشتر مدينة بخوزستان، تعريب شوش بإعجام الشينين، قال: ومعناه النزه والحسن والطيب واللطيف، فبأيّ الأسماء وسمتها من هذه جاز، وبها قبر البراء بن مالك الأنصاري، ينظر: معجم البلدان للحموي (٢/٢٩. ٣١)

(٢) طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢١٦)، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١٠/ ١٨٩).

وسلم: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ"[١] وما من عبد دخل في شيء من السنة وكان نيته متقدمة في دخوله لله إلا خرج الجهل من سره شاء أو أبى بتقديمه النية ولا يعرف الجهل إلا عالم فقيه زاهد عابد حكيم، وسئل كيف يتخلص العبد من خدعة نفسه وعدوه؟ قال: يعرف حاله فيما بينه وبين الله وبعد عرفان حاله فيما بينه وبين الله يعرض نفسه على الكتاب والأثر ويقتدي في الأشياء بالسنة وقال: على هذا الخلق من الله أن يلزموا أنفسهم سبعة أشياء فأولها الأمر والنهي وهو الفرض ثم السنة ثم الأدب ثم الترهيب ثم الترغيب ثم السعة فمن لم يلزم نفسه هذه السبعة ولم يعمل بها لم يكمل إيمانه ولم يتم عقله ولم يتهنأ بحياته ولم يجد لذة طاعة ربه[٢].

شيوخه:

تتلمذ التستري على كثير من الشيوخ أبرزهم: الشيخ ذو النون المصري رحمه الله تعالى قابله بمكة حرسها الله تعالى، وكان له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة، وكذلك خاله محمد بن سوار الذي كان سبب سلوكه هذا الطريق[٣].

تلاميذه:

صحب التستري كثير من محبيه فتتلمذوا عليه، منهم: أبو بكر الجوربي، وأبو بكر محمد بن يحيى بن أبي بدر، ومحمد بن أحمد[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بزيادة "غريبا فطوبى للغرباء" . باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، وإنه يأرز بين المسجدين، (١٢٨/١)، ح (١٤٤).

(٢)حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١٠/ ١٨٩).

(٣) وفيات الأعيان (٤٢٩/٢).

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١٩١/١٠).

مصنفاته:

خلف التستري كثير من المصنفات منها: تفسير القرآن الكريم، وكتاب رقائق المحبين، ومواعظ العارفين، وجوابات أهل اليقين، وقصص الأنبياء[1]، وطبع منها تفسير القرآن.

وفاته:

عاش التستري نحو ثمانين سنة، واختُلِف في سنة وفاته فقيل: سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين[2] ،والأكثرون على أنها سنة ثلاث وثمانين ومائتين[3].

ثانياً: التعريف بتفسير التستري ومنهجه فيه.

قال محمد السود[4]:" ما يلفت النظر إلى هذا التفسير هو حجمه اللطيف، مما يعني بالتالي أنه لا يضم تفسيرا تاما لجميع الآيات القرآنية، وإنما هو تفسير لبعض آيات القرآن، وتعليقات كانت استجابة لأسئلة بعض مريديه. وليس عجيبا أن يكون تفسيره مختصرا، فتلك طريقة أهل التصوف.

وإن أقوال التستري المتعلقة بالتفسير كانت موضع اهتمام الصوفيين الذين كانوا يجلون التستري، فأخذوا بتدوينها في مؤلفاتهم، وأشهر الكتب التي حفظت لنا بعض أقواله وآرائه كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتاب حلية الأولياء للأصبهاني. وبدأ تفسيره بخطبة تحدث فيها عن القرآن، وأهميته، وفهمه، وفق منهج الصوفية؛ حيث قال: "وما من آية في القرآن إلّا ولها أربعة معان، ظاهر وباطن وحدّ ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد حلالها وحرامها،

(١) معجم المؤلفين لكحالة (٤/٢٨٤).

(٢) طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢١٦).

(٣) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٣/٩٨).

(٤) هو محمد بن باسل عيون السود محقق تفسير التستري.

والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقها من الله عزَّ وجلَّ. فالعلم الظاهر علم عام، والفهم لباطنه، والمراد به خاص، قال تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓـُٔولَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] أي لا يفقهون خطابا. قال سهل: "فلا بد للعبد من مولاه، ولا بد له من كتابه، ولا بد له من نبيه صلى الله عليه وسلّم، إذ قلبه معدن توحيده، وصدره نور من جوهره أخذ قواه من معدنه إلى هيكله، فمن لم يكن عنده شيء يتبع به أو أضرب عنه كذلك لم تكن الجنة منزلا له، وإذا لم يكن الله معه وناصره فمن معه، وإذا لم يكن القرآن إمامه، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلّم له شافعا من يشفع له، وإذا لم يكن في الجنة فهو في النار".

وقوله: "صدره نور" أي موضع النور." من جوهره": وهو أصل محل النور في الصدر الذي منه ينتشر النور في جميع الصدر. وإضافة الجوهر إلى الله تعالى ليس المراد ذاته، وإنما هي على طريق الملك. "أخذ قواه": يعني قوى النور من معدنه، وهو الصدر وما حل مصدق. "إلى هيكله": يعني إلى جوارحه، وإنما عنى بها نور الطاعات التي في الجوارح، فمن لم يكن عنده شيء من الهداية سمع به، أي فهم به. وقال النبي صلى الله عليه وسلّم: "القرآن شافع مشفّع وما حل مصدق، فمن شفع له القرآن نجا، ومن محل به هلك"[(١)٢]. وهذا كلام الصوفية ..... وبعد خطبة الكتاب ذكر صفات طلاب فهم القرآن.

(١) أخرجه الحاكم بنحوه في المستدرك . باب أخبار في فضائل ـ القرآن جملة، (١٨/٣)، ح (٢٠٥٩)، وفي الموسوعة الحديثية . باب القرآن، (٣٧٨/١٨)، ح (٢٠٧٩) صحيح لغيره.

(٢) تفسير التستري (ص١٦).

منهجه في تفسيره:

منهج التستري في تفسير الآيات، أنه لم يفسر جميع الآيات كما ذكر محقق الكتاب، والآيات التي فسرها نجد بعضها فسرها تفسيراً موافقاً لتفسير السلف، وجمهور المفسرين، مثال: تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[فاطر: ٣٢] قال التستري في تفسير الآية : " وقال الحسن البصري رحمه الله: السابق الذي رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته، والظالم الذي رجحت سيئاته على حسناته"(١)، وهذا القول قال به جماعة من المفسرين،(٢) فقول التستري هنا جاء موافقاً لقول المفسرين. وبعض الآيات يفسرها تفسيراً مخالفاً لتفسير السلف، وجمهور المفسرين، وموافقاً لمعتقد الصوفية. مثال: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[التوبة: ٧٣]. قال التستري في تفسير

الآية :" قال: جاهد نفسك بسيف المخالفة وحملها حمولات الندم، وسيرها في مفاوز الخوف، لعلك تردها إلى طريق التوبة والإنابة، ولا تصح التوبة إلا من متحير في أمره، مبهوت في شأنه، واله القلب مما جرى عليه"(٣)، وهنا خالف أقوال المفسرين ، إذ أنهم فسروا جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين منهم من قال: باللسان، ومنهم من قال: بإلزام الحجة وإقامة الحدود، ومنهم من جمع بينهما.

---

(١) تفسير التستري (ص١٢٩).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥١٢/٣)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١٧٦/٢)، فتح القدير للشوكاني (٤٠١/٤).

(٣) تفسير التستري (ص٧٤).

قال ابن عباس: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ قال: "الكفار"، بالقتال، و"المنافقين"، أن يغلُظ عليهم بالكلام، روي عن الضحاك يقول في قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ يقول: جاهد الكفار بالسيف، وأغلظ على المنافقين بالكلام، وهو مجاهدتهم"(١)، وقال السعدي:" وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان"(٢)، فتبين أن تفسير التستري غير صحيح لمخالفته ظاهر الآية، وللنصوص الثابتة عن السلف، وبعض الآيات يفسرها تفسير مخالف للظاهر يفسرها من قبيل الباطن الصحيح، أي بمعان صحيحة في نفسها، ولكن القرآن لا يدل عليها مثال: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾ قال التستري:" أي أضدادا، فأكبر الأضداد: النفس الأمارة بالسوء، المتطلعة إلى حظوظها ومناها بغير هدى من الله"(٣). فتفسير التستري للآية: يشير إلى أن النفس الأمارة داخلة تحت عموم الأنداد، حتى لو فصّل لكان المعنى: فلا تجعلوا لله أندادا لا صنما، ولا شيطانا، ولا النفس، ولا كذا، ولا كذا.. وهذا مشكل من حيث الظاهر، لأن سياق الآية وما يحف بها من قرائن يدل على أن الأنداد مراد بها كل ما يعبد من دون الله، سواء أكان صنما أم غير صنم، أما الأنفس فلم تكن معبودة لهم، ولم يعرف أنهم اتخذوها أربابا من دون الله، ومع هذا فيمكن أن يكون لهذا التفسير وجه صحيح،

(١) أخرجه عنهما ابن جرير في تفسيره (١٤/ ٣٥٩) واخرجه كذلك عن الحسن وقتادة.
(٢) تيسر الكريم الرحمن للسعدي (ص٣٤٤).
(٣) تفسير التستري(ص٢٧).

وبيان ذلك: أنه أخذ الآية بمعنى باب الاعتبار وأنه لم يفسر الآية، بل أتى بما هو ند في الاعتبار الشرعي، وذلك لأن حقيقة الند: أنه المضاد لنده، الجاري على مناقضته، والنفس الأمارة هذا شأنها، لأنها تأمر صاحبها بمراعاة حظوظها، لاهية أو صادة عن مراعاة حقوق خالقها، وعلى هذا فلا غبار على قول سهل في الآية، بل وهناك ما يشهد له من الجهتين: جهة حمل الأنداد على الأنفس الأمارة – اعتبارا، وجهة كون الخطاب – وإن كان موجها للمشركين – فيه لأهل الإسلام نظر واعتبار. أما ما يشهد له من الجهة الأولى: فقوله تعالى:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة: ٣١].. وظاهر أنهم لم يعبدوهم من دون الله، ولكنهم ائتمروا بأوامره وانتهوا عما نهوهم عنه كيف كان، فما حرموا عليهم حرموه، وما أباحوا لهم حللوه، وفاتهم أن المحلل والمحرم هو الله، فقال الله سبحانه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾. وهذا بعينه هو شأن المتبع لهوى نفسه. وأما ما يشهد له من الجهة الثانية، فهو أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض من توسع في الدنيا من أهل الإيمان: أين تذهب بكم هذه الآية: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا ﴾؟ وكان هو يعتبر نفسه بها، مع أن الآية نزلت في حق الكفار لقوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا... ﴾ الآية، فعمر رضي الله عنه، له في الآية نظر واعتبار، فأخذ من معناها معنى أجرى الآية فيه وإن لم تنزل فيه، حذرا منه وخوفا أن يكون التوسع في المباحات سببا في الحرمان من نعيم الآخرة ومتاعها، فإذا صح لعمر رضي الله عنه أن ينزل الآية على المتوسعين في المباحات من المؤمنين ولم تنزل فيهم[1]، وزاد د.

(١) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٥٢/١).

الذهبي:" صح لسهل أيضا أن ينزل الآية على النفس الأمارة وإن لم تنزل فيها كذلك"[١]. وإن سلمنا بما قاله الذهبي لتصحيحه تفسير التستري، فأرى أن يفسر الآية استناداً للنصوص الثابتة عن السلف، وحملها على الظاهر، وموافقتها للسياق، ثم يذكر المقاصد.

نخلص إلى أن منهجه الذي انتهجه في تفسيره ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: تفسير اتبع فيه منهج السلف والاستناد إلى أقوالهم.

الثاني: تفسير بالباطن من قبيل الصحيح.

الثالث: تفسير بالرأي المجرد، مستنداً لمعتقده الصوفي. والله اعلم.

المآخذ على التستري في تفسيره.

أخذ على التستري في تفسيره مآخذ منها:

١. عدم تفسيره للقرآن كاملاً.

٢. استشهاده بالأحاديث من غير إسناد، لذلك غالباً ما نراه يأتي بأحاديث وأخبار مما اشتهر على ألسنة الناس، بغض النظر عن كونه ضعيف، أو ما هو دون ذلك في الدرجة.

٣. أقواله دائماً في غاية الإيجاز، بل بالألغاز مما يجعل القارئ لا يستطيع فهمها مباشرة.

٤. إن تفسيره بهذه الطريقة يؤدي إلى اللبس والإيهام حيث يُظن أن تفسيره هو مراد الله[٢].

---

(١) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (٢/٢٦٦.٢٦٧)

(٢) ملتقى أهل التفسير https://vb.tafsir.net

المبحث الأول

التعريف بالتفسير الإشاري، وأقوال العلماء فيه، وبيان حكمه

تعريف الإشاري لغة:

الإشاري مأخوذ من الإشارة: من أشار إليه بيده أو نحوها أومأ إليه معبرا عن معنى من المعاني كالدعوة إلى الدخول أو الخروج[١]. وقيل: أشار إليه بيده إشارة وشور تشويرا لوح بشيء يفهم من النطق فالإشارة ترادف النطق في فهم المعنى[٢].

تعريف التفسير الإشاري شرعاً:

عرفه الإمام الزرقاني بأنه: "هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا"[٣].

وعرفه السيوطي:" هو تأويل القرآن بغير معناه الظاهري الذي يدل عليه، مثل تفسير كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء الذين يفسرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها، ولكن القرآن لا يدل عليها"[٤].

ويسمى بالتفسير الإشاري، أو التفسير بالإشارة، ويسمى كذلك التفسير الصوفي أو التفسير الفيضي، وهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظاهر المرادة[٥].

---

(١) المعجم الوسيط للزيات وآخرون (٤٩٩/١).

(٢) لسان العرب (٤٣٧/٤)، المصباح المنير (٣٢٦/١).

(٣) مناهل العرفان للزرقاني (٢/ ٧٨).

(٤) الإتقان للسيوطي (٢٢٨/٢).

(٥) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (٢٦١/٢).

ولا يرى الصوفي أن التفسير الإشاري هو كل ما تحتمله الآية من المعاني، بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية بعد المعنى الظاهر الواضح. فالتفسير بالإشارة يعني أن النصوص ليست على ظواهرها، وإنما بما تحويه في باطنها من إشارات خفية لا يدركها إلا أصحاب الكشف وأرباب السلوك والمدارج(١).

أقوال العلماء في التفسير الإشاري:

قال الزركشي:" فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن فقيل: ليس تفسيرا وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] إن المراد: النفس فأمرنا بقتال من يلينا لأنها أقرب شيء إلينا وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه"(٢).

وقال ابن عاشور:" أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ظاهرا، ولكن بتأويل ونحوه فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معاني، فبذلك فارق قولهم قول الباطنية".(٣)

وقال السيوطي:" قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان، وسئل شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني عن رجل قال في قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى

(١) المرجع السابق (٢/٢٦١).
(٢) البرهان للزركشي (٢/١٧٠).
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور(١/٣٤.٣٦).

يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إن معناه: من ذل: أي من الذل ذي: إشارة إلى النفس يشف: من الشفا جواب "من" ع: أمر من الوعي فأفتى بأنه ملحد، وقد قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ [فصلت:٤٠] قال ابن عباس: "هو أن يوضع الكلام على غير موضعه"(١):" فإن قلت: فقد قال الفريابي حدثنا سفيان، عن يونس بن عبيد، عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع"(٢)، وروي عن عبد الرحمن بن عوف مرفوعا: "القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد"(٣)، وعن ابن مسعود موقوفا: "إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع"(٤) قلت: أما الظهر والبطن ففي معناه أوجه:

أحدها: أنك إذا بحثت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقفت على معناها

والثاني: أن ما من آية إلا عمل بها قوم ولها قوم سيعملون بها.

الثالث: أن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها.

الرابع: قال أبو عبيد– وهو أشبهها بالصواب: إن القصص التي قصها الله تعالى عن الأمم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين إنما هو حديث حدث به، عن قوم، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم فيحل بهم مثل ما حل بهم، وحكى ابن النقيب قولا خامسا: أن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق ومعنى قوله: "ولكل حرف حد" أي منتهى، فيما أراد الله من معناه وقيل:

---

(١) لم أجده عند أبي حاتم، وإنما وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم (٣٣٠/٧).

(٢) فيض الباري على صحيح البخاري للديوبندي (٩٣/١).

(٣) مرقاة المفاتيح للهروي (٣١٦/١).

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (١٥٣/٧)، ح(١١٥٨٢).

لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب ومعنى قوله: "ولكل حد مطلع" لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته، ويوقف على المراد"(١).

وقال الزرقاني:" ونقل السيوطي في الإتقان عن ابن عطاء الله في لطائف المنن ما نصه اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء في الحديث لكل آية ظهر وبطن فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم يقولون ذلك بل يقررون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما ألهمهم ".(٢)

وقال مصطفى البغا:" هو تفسير باطل وإثم كذلك، بل يخشى الخروج عن الإسلام لمن اعتقد ذلك، معاذ الله. ولو ألحق بالتفسير الباطني لا يعدّ بعيدا، وقد عرفت الحكم في ذلك التفسير. اللهم إلا أن يكون التفسير الإشاري قائما على الاعتراف بمعاني ظواهر النصوص على ما تقتضيه اللغة والنصوص الشرعية الأخرى، فالمرجو ألّا يكون بأس وإثم بإذن الله، ويقرب من هذا التفسير ما قاله علماء الأصول في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. الآية نص في وجوب نفقة الزوجة على الزوج، وهي تشير إلى أن الولد ينسب إلى أبيه، والله أعلم"(٣).

---

(١) الإتقان للسيوطي (٢٢٥/٤)، وينظر: الموسوعة القرآنية لأبياري(٢٦/٩).

(٢) مناهل العرفان للزرقاني (٧٩/٢).

(٣) الواضح في علوم القرآن مصطفى البغا (٢٣٩/١).

وقال عبد القادر منصور: "وأرى– والله أعلم– أنّ منهج التفسير الإشاري، ليس منهجا عاما، وإنّما هو فهوم خاصّة لا تتّبع ولا تقلّد، لأنّها إشارات لحالات يمرّ بها السالك في الطريق، فأولى أن لا تصنف ضمن أنواع التفسير، وأولى أن تبقى في دائرة الخاصة، حتى لا تحدث حيرة، ورفضا".[1]

وذكر الإمام الزرقاني: "الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر، بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولا إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب. وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة"[2].

المؤلفات في التفسير الإشاري:

المفسرون لا يرون التفسير الظاهر للفظ وإنما يضيفون إليه معان أخرى، قد تكون صحيحة أحياناً، وخاطئة أحياناً أخرى، ومن أشهر كتب التفسير الإشاري:

غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري.

تفسير الفتوحات المكية لابن عربي.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي.

تفسير القرآن العظيم للتستري.

حقائق التفسير لأبى عبد الرحمن السلمي.

لطائف الإشارات للقشيري[3].

---

(١) موسوعة علوم القرآن لعبد القادر منصور (١٨٨/١).

(٢) مناهل العرفان للزرقاني (٧٩/٢).

(٣) مناهل العرفان للزرقاني (٨٤/٢. ٨٨)، الموسوعة القرآنية للأبياري (٢٨٣/١).

حكمه:

اختلف العلماء في حكمه فمنهم من حرمه، ومنهم من جوزه بشروط.

فمن حرمه من العلماء:

الزركشي[١]، والإمام أبي الحسن الواحدي، حيث قال ابن الصلاح في فتاويه: "وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق في التفسير فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر. وعقب ابن الصلاح على قول الإمام أبي الحسن الواحدي: بقوله:" وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئا من ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وإنما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والالتباس"[٢].

ونقل الزرقاني عن النسفي:" حيث ذكر في عقائده: النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل البطل إلحاد[٣].

وقال البغا:"هو تفسير باطل وإثم كذلك، بل يخشى الخروج عن الإسلام لمن اعتقد ذلك، معاذ الله. ولو ألحق بالتفسير الباطني لا يعدّ بعيدا، وقد عرفت الحكم في ذلك التفسير"[٤].

ومن العلماء الذين جوزوه بشروط:

قال البغا:"قد جعل الإمام جلال الدين السيوطي لقبول التفسير الإشاري شروط على ما يلي:

---

(١) ينظر (ص١٢).

(٢) فتاوى ابن الصلاح لابن الصلاح (١٩٧/١).

(٣) مناهل العرفان للزرقاني (٧٨/٢) بتصرف يسير، أجده عند النسفي.

(٤) الواضح في علوم القرآن مصطفى البغا (٢٣٩/١).

ألّا يتنافى مع ما يظهر من معنى النظم الكريم والمقرر في لسان العرب.

ألّا يدّعى أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر، بل لابد من الاعتراف بالمعني الظاهر أولا إذ لا يطمع في الوصول إلى الإشارة قبل إحكام العبارة، ومن ادعى فهم أسرار القرآن الكريم ولم يضع نصب عينيه التفسير الظاهر والواضح يكون كمن ادعي بلوغ صدر البيت قبل أن يجاوز بابه.

ألّا يكون تأويلا بعيدا سخيفا.

ألّا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

أن يكون له شاهد شرعي يؤيده(١).

وبناء على ذلك فإن التفسير الإشاري مقبول بالشروط السابقة المنقولة عن العلماء.

وقال ابن القيم: "وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى: وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة: وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربعة شروط:

ألَّا يناقض معنى الآية.

وأن يكون معنًى صحيحًا في نفسه.

وأن يكون في اللفظ إشعار به.

وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا".(٢)

---

(١) الواضح في علوم القرآن مصطفى البغا (١/٢٤٠)، وينظر: علوم القرآن لنور عتر (٩٩.٩٨).

(٢) التبيان في أيمان القرآن لابن قيم الجوزية (ص١٢٤).

فبعد بيان تعريف التفسير الإشاري، وأقوال العلماء فيه، وبيان حكمه، يجب تنبيه الناس إليه للاحتراز منه؛ فمن الخطر أن يفهم الناس عند مطالعة التفسير الإشاري أن هذه المعاني الإشارية، هي مراد الخالق إلى خلقه في الهداية إلى تعاليم الإسلام، والإرشاد إلى حقائق هذا الدين الذي ارتضاه لهم. فالواجب تنبيه المسلمين وتحذّيرهم من الوقوع في هذا التفسير الإشاري الملتوي، ولا يعوّلوا على ما ورد في كتب الصوفية. لأنها كلها أذواق ومواجيد، خارجة عن حدود الضبط والتقييد. وكثيرا ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة والحق بالباطل. وإذا تجردت من ذلك فقلما يظهر منها مراد الله. . والله أعلم .

المبحث الثاني
دراسة نماذج من تفسير التستري

الآية موضع الدراسة:

قال تعالى:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢]

قول التستري:

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أي أضداداً. فأكبر الأضداد النفس الأمّارة بالسوء المتطلعة إلى حظوظها ومناها بغير هدى من الله(١).

أقوال المفسرين:

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، يعني: شركاء، أمثالا. يقال: هذا ند هذا، ونديده. وفيما أريد بالأنداد ها هنا أقوال: أحدهما: الأصنام، قاله ابن زيد(٢). والثاني: رجال كانوا يطيعونهم في معصية الله، قاله ابن مسعود(٣)، والثالث: الأنداد، الأشباه. قاله ابن عباس(٤) وقال أبو العالية: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي عدلاء شركاء. وهكذا قال الربيع بن أنس، وقتادة، والسدي، وأبو مالك، وغيرهم(٥).

---

(١) تفسير التستري (ص٢٧).
(٢) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٤٣).
(٣) جامع البيان للطبري (٣٦٨/١)، الكشف والبيان للثعلبي (١/ ١٦٧).
(٤) جامع البيان للطبري (٣٦٨/١).
(٥) تفسير ابن كثير (١/ ١٩٦).

وقال النسفي في قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ " هو متعلق بالأمر أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أنداداً لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل له ند ولا شريك ويجوز أن يكون الذي رفعاً على الابتداء وخبره فلا تجعلوا ودخول الفاء لأن الكلام يتضمن الجزاء أي الذي حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف والمناوئ ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه(١).

وأولى الأقوال في ذلك ما قاله ابن جرير في معنى الآية لأنه شامل لجميع الأقوال حيث قال:" والأنداد جمع ند، والند: العدل والمثل. وكل شيء كان نظيرا لشيء وله شبيها فهو له ند. فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئا، وأن يعبدوا غيره، أو يتخذوا له ندا وعدلا في الطاعة، فقال: "كما لا شريك لي في خلقكم، وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم، ونعمي التي أنعمتها عليكم فكذلك فأفردوا لي الطاعة "(٢) ووافقه جماعة من المفسرين منهم: السمعاني، والشربيني، والقاسمي(٣) .

المقارنة بين أقوال المفسرين وقول التستري:

لو نظرنا إلى أقوال المفسرين في تفسير الآية نجدهم فسروا الآية على أنها: جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه، وهو ذكر توحيد الربوبية، المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير، فإذا كان كل أحد مقرا بأنه ليس له شريك في ذلك، فكذلك فليكن إقراره بأن الله لا شريك له في العبادة، وهذا أوضح دليل عقلي

(١) مدارك التنزيل للنسفي (١/ ٦٣).

(٢) جامع البيان للطبري (٣٦٨/١).

(٣) تفسير السمعاني (١/ ٥٨)، السراج المنير للشربيني (١/ ٣٤)، محاسن التأويل للقاسمي (١/ ٢٦٦).

على وحدانية الباري، وبطلان الشرك[1]، أما إذا نظرنا لقول التستري في تفسير الآية نجده فسر الأنداد بالنفس الأمّارة بالسوء المتطلعة إلى حظوظها ومناها بغير هدى من الله.

الخلاصة:

بعد النظر إلى أقوال المفسرين، وقول التستري، تبيّن أن تفسير المفسرين للآية هو الصواب لاستنادهم على ظاهر النص وموافقة المعنى للغة العربية، بالإضافة لاستدلالهم بالنصوص الثابتة عن السلف كقول ابن عباس، وابن مسعود، وابن زيد، وغيرهم، أما التستري فقد اعتمد في تفسيره للآية على التفسير الاشاري، الذي يأول الآيات على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية؛ فلذا يعد تفسيره للآية من قبيل التفسير بالرأي المجرد، ـ والله أعلم ـ .

الآية موضع الدراسة:

قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨]

قول التستري:

قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ﴾ قال: "أي عدله، لأن النار عدله لمن خالفه، والجنة فضله لمن أطاعه، ألا ترون إلى قوله عليه الصلاة والسلام: "يا من لا يرجى إلاَّ فضله ولا يخشى إلّا عدله"[2][3] .

أقوال المفسرين:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٤٤).

(٢) بحثت عن الحديث لم أجده إلا عند التستري.

(٣) تفسير التستري (ص: ٤٨) .

قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ يعني يخوّفكم الله بعقوبته(١). فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه، وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي النهي في القبح وذكر النفس، ليعلم أن المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة(٢).وخصَّص عذابه بنفسه تعظيماً له، فلمَّا نهى عن ذلك خوَّف وحذَّر عن إبطان موالاتهم(٣). (ونَفْسَهُ) أي ذاتَه المقدسة فإن جواز إطلاقِ لفظِ النفسِ مراداً به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز وإن أريد به الذات إلا مشاكلة وفيه من التَّهديدِ ما لا يخفى عُظْمُه وذكر النفس للإيذان بأن له عقاباً هائلاً لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة(٤).

المقارنة بين أقوال المفسرين وقول التستري:

لو نظرنا إلى أقوال المفسرين في تفسير الآية نجدهم فسروا الآية: بتخويف الله عباده وتحذيرهم من ارتكاب معاصيه، أو مولاة أعداءه، وفيه تهديد ووعيد بعقابه وشديد عذابه، وخصَّص عذابه بنفسه تعظيماً له، أما إذا نظرنا لقول التستري في تفسير الآية نجده فسر تحذير الله بنفسه، بعدله، لأن النار عدله لمن خالفه، والجنة فضله لمن أطاعه.

الخلاصة:

بعد النظر إلى أقوال المفسرين، وقول التستري، تبيّن أن تفسير المفسرين للآية هو الصواب لاستنادهم على موافقة النص لظاهر الآية، وكذلك معنى التحذير للغة ،

(١) بحر العلوم للسمرقندي (١/ ٢٠٥) ، معالم التنزيل للبغوي (١/ ٤٢٨).
(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/ ١٢) ، مدارك التنزيل للنسفي (١/ ٢٤٨).
(٣) الوجيز للواحدي (ص: ٢٠٥) ، تفسير السمعاني (١/ ٣٠٩).
(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٤٢٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ٢٣).

والنفس راجعة إلى الذات وهذه مخاطبة على معهود ما يفهمه البشر[1]،والقاعدة تنص على حمل معاني القرآن على الأغلب المشهور من كلام العرب[2]، أما التستري فقد اعتمد في تفسيره للآية على التفسير الاشاري، الذي يأول الآيات على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية؛ وكذلك تأويلها على حسب فهمه الباطن كما يزعم الصوفية ، أن ما من آية في القرآن إلّا ولها أربعة معان، ظاهر وباطن وحدّ ومطلع[3]، فلذا يعد تفسيره للآية من قبيل التفسير بالرأي المجرد، ـ والله أعلم ـ .

الآية موضع الدراسة: قال تعالى:

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ [النساء:٢٩]

قول التستري:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ يعني لا تهلكوا أنفسكم بالمعاصي والإصرار، وترك التوبة عند الرجوع إلى الاستقامة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ حيث حرم عليكم المعصية، كي لا تهلكوا[4]

أقوال المفسرين:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ ولا يقتل بعضكم بعضا، وأنتم أهل ملة واحدة، ودعوة واحدة، ودين واحد. فجعل جل ثناؤه أهل الإسلام كلهم بعضهم من

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٤٢٠).

(٢) تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه للعبيد (ص٨٥) .

(٣) تفسير التستري (ص١٦).

(٤) المرجع السابق (ص:٥٣).

بعض. وجعل القاتل منهم قتيلا = في قتله إياه منهم = بمنزلة قتله نفسه، إذ كان القاتل والمقتول أهل يد واحدة على من خالف ملتهما. وهذا قول السدي، وعطاء بن أبي رباح(١).

وذهب قوم إلى أن هذا نهي عن قتل الإنسان نفسه، وذلك أن يقتل الرجل نفسه بقصد منه القتل، أو بأن يحملها على غرر ربما مات منه، فهذا كله يتناوله النهي ويدل على صحة هذا التأويل ما روي

عن عمرو بن العاص، قال: "احتلمت في ليلة باردة، وأنا في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، فقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩] فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا"(٢) فدل هذا الحديث على أن عمراً تأول في الآية إهلاك نفسه، لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبي صلى الله عليه وسلم(٣)، ووافقه جمع من المفسرين منهم : البغوي، وابن عطية، والزمخشري، والبيضاوي ، وابن جزي ، وأبي حيان(٤).

(١) جامع البيان للطبري (٢٢٩/٨).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب ـ باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت، (٢٧٨/٢).

(٣) الوسيط للواحدي (٣٨/٢. ٣٩)

(٤) معالم التنزيل للبغوي (٦٠٣/١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٤٢)، الكشاف للزمخشري (١/ ٥٠٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٢/ ٧١) ، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ١٨٩)، البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٦١١).

المقارنة بين أقوال المفسرين وقول التستري:

فبالنظر إلى أقوال المفسرين نجدهم فسروا القتل بمعناه الحقيقي سواء قتل الإنسان لأخيه الإنسان، أو قتل نفسه بتعرضها للمهالك استناداً إلى أقوال السلف في هذين المعنيين، أما إذا نظرنا لقول التستري في تفسير الآية نجده فسر القتل تفسير مجازي، أن القتل هو الهلاك نتيجة لارتكاب المعاصي والإصرار عليها، وترك التوبة عند الرجوع إلى الاستقامة، غير مستنداً في تفسيره إلى نصوص ثابتة.

الخلاصة:

فبعد النظر إلى أقوال المفسرين، وقول التستري، تبيّن أن تفسير المفسرين هو الصواب لاستنادهم على النصوص الثابتة عن السلف، أما تفسير التستري تفسير بالرأي المجرد، ـ والله أعلم ـ .

الآية موضع الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣].

قول التستري:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ قال: جاهد نفسك بسيف المخالفة وحمّلها حمولات الندم، وسيرها في مفاوز الخوف، لعلك تردها إلى طريق التوبة والإنابة، ولا تصح التوبة إلا من متحير في أمره، مبهوت في شأنه، واله القلب مما جرى عليه، قال تعالى: ﴿ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ.. ﴾ [التوبة: ١١٨][1].

(١) تفسير التستري (ص٧٤).

أقوال المفسرين:

قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ قال ابن عباس وغيره: جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان. وقال الحسن وقتادة: والمنافقين بإقامة الحدود عليهم إذا تعاطوا أسبابها. وقال ابن مسعود: جاهدهم باليد، فإن لم تستطع فباللسان، فإن لم تستطع فبالقلب، والاكفرار في وجوههم، وأغلظ عليهم في الجهادين. والغلظ ضد الرقة، والمراد خشونة الكلام وتعجيل الانتقام على خلاف ما أمر به في حق المؤمنين. واخفض جناحك للمؤمنين وكل من وقف منه على فساد في العقائد، فهذا حكمه يجاهد بالحجة، ويستعمل معه الغلظ ما أمكن(١)، وقيل: جاهِدِ الْكُفَّارَ بالسيف. وَالْمُنافِقِينَ بإلزام الحجة وإقامة الحدود. وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ في ذلك ولا تحابهم.(٢) وأيد هذا القول ابن تيمية حيث قال:" ومعلوم أن الكافر إذا أظهر التوبة من الكفر كان تركا له في الظاهر ولا يعلم ما يخالفه. أما المنافق فإذا أظهر الإسلام لم يكن تركا للنفاق لأن ظهور هذه الحال منه لا ينافي النفاق ولأن المنافق إذا كان جهاده بإقامة الحد عليه كجهاد الذي في قلبه مرض وهو الزاني إذا زنى لم يسقط عنه حده إذا أظهر التوبة بعد أخذه لإقامة الحد عليه كما عرفت ولأنه لو قبلت علانيتهم دائما مع ثبوت ضدها لم يكن إلى الجهاد على النفاق سبيل فإن المنافق إذا ثبت عنه أنه أظهر الكفر فلو كان إظهار الإسلام حينئذ ينفعه لم يمكن جهاده"(٣)، وقال ابن كثير: "إنه لا منافاة بين هذه الأقوال، لأنه تارة يؤاخذهم بهذا، وتارة بهذا بحسب الأحوال، والله أعلم"(٤).

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٥/٤٦٤)، ينظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٢/ ٢٧٨)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/٣٤٣) ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (١/ ٦٩٤) .

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ٨٩).

(٣) الصارم المسلول لابن تيمية (٣٤٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧٨/٤).

المقارنة بين أقوال المفسرين وقول التستري:

لو نظرنا إلى أقوال المفسرين في تفسير الآية نجدهم فسروا جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين منهم من قال: باللسان، ومنهم من قال: بإلزام الحجة وإقامة الحدود، ومنهم من جمع بينهما. قال السعدي:" وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان"(١). أما إذا نظرنا لقول التستري في تفسير الآية نجده فسر فسر الأمر بالجهاد للنبي صلي الله عليه وسلم بجهاد نفسه حيث قال: " أن بجهاد نفسه بسيف المخالفة وحملها حمولات الندم، وسيرها في مفاوز الخوف، لعلك تردها إلى طريق التوبة والإنابة، ولا تصح التوبة إلا من متحير في أمره، مبهوت في شأنه، واله القلب مما جرى عليه"(٢).

الخلاصة:

فبعد النظر إلى أقوال المفسرين، وقول التستري، تبيّن أن تفسير المفسرين للآية هو الصواب لاستدلالهم بالنصوص الثابتة عن السلف ، ولاستنادهم على ظاهر النص ولموافقة الآية للسياق؛ إذ الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم وأمره بجهاد الكفار والمنافقين، أما التستري فقد فسر الآية على أن الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم وأمره بجهاد نفسه، والعبارات التي أوردها في تفسير الآية هي من عبارات الصوفية، وهذا تفسير خاطئ مخالف لظاهر الآية ، وللنصوص الثابتة ؛ فلذا يعد تفسيره للآية من قبيل التفسير بالرأي المجرد، ـ والله أعلم ـ .

(١) تيسر الكريم الرحمن للسعدي (ص٣٤٤).

(٢) تفسير التستري(ص٧٤).

الآيات موضع الدراسة:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٩ -٨١].

قول التستري:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴾ قال:" يطعمني لذة الإيمان، ويسقيني شراب التوكل والكفاية. وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾ قال: يعني إذا تحركت بغيره لغيره عصمني، وإذا ملت إلى شهوة من الدنيا منعها عني. قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝﴾ قال: الذي يميتني بالغفلة ثم يحييني بالذكر "(١).

أقوال المفسرين:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴾ قال ابن جرير :"يقول: والذي يغذوني بالطعام والشراب، ويرزقني الأرزاق، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾ ۝ يقول: وإذا سقم جسمي واعتل، فهو يبرئه ويعافيه. قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴾ والذي يميتني إذا شاء ثم يحييني إذا أراد بعد مماتي"(٢) ، وافقه السمرقندي ، وأضاف قائلاً :" وأضاف المرض إلى نفسه، لأن المرض بكسب يده كقوله عز وجل:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ ۝ [الشورى:٣٠] وفيه كفارة وإذا كان أصله من كسب

(١) تفسير التستري (ص: ١١٥).

(٢) جامع البيان للطبري (١٩/ ٣٦٣).

نفسه، أضافه إلى نفسه"[1]، وقال ابن كثير:" ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴾ أي: هو خالقي ورازقي، بما سخر ويسر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المزن، وأنزل الماء، وأحيا به الأرض، وأخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد، وأنزل الماء عذبا زلالا لقوله: ﴿ لِّنُحۡۦِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٤٩] ، وقوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾ أسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدباً، كما قال تعالى آمرا للمصلي أن يقول: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧] فأسند الإنعام إلى الله سبحانه وتعالى، والغضب حذف فاعله أدباً، وأسند الضلال إلى العبيد، كما قالت الجن:﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴾[الجن: ١٠]؛ ولهذا قال إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه، قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴾ أي: هو الذي يحيي ويميت، لا يقدر على ذلك أحد سواه، فإنه هو الذي يبدئ ويعيد."[2]، ووافقه جمهور المفسرين منهم: البغوي وابن عطية ، وابن عادل ، وأبي السعود، الشوكاني، وابن عاشور.[3]

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٥٥٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٤٧/٦).

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٧٠)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٤/ ٢٣٤)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٥/ ٤٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا

المقارنة بين أقوال المفسرين وقول التستري:

لو نظرنا إلى أقوال المفسرين جميعاً نجدهم فسروا الآيات تفسير صحيحاً استناداً إلى ظاهر النص، والقاعدة التفسيرية نصت: أن الأصل حمل آيات القرآن على ظاهرها مالم يرد دليل يصرفها عنه(١)، وكذلك الاستدلال بآيات أخرى توافقها في السياق، كقوله:﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ وأسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدبا، كما قال تعالى آمرا للمصلي أن يقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦، ٧] فأسند الإنعام إلى الله، والغضب حذف فاعله أدبا ، وكقول البغوي :" أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء كله من الله، استعمالا لحسن الأدب كما قال الخضر:﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف: ٧٩] "(٢).

الخلاصة:

بعد النظر إلى أقوال المفسرين، وقول التستري، تبّين أن تفسير المفسرين للآية هو الصواب استناداً إلى ظاهر النص ولموافقة الآية للسياق، والقاعدة التفسيرية: أن الأصل حمل آيات القرآن على ظاهرها مالم يرد دليل يصرفها عنه، أما إذا نظرنا لقول التستري نجده فسر الآيات بخلاف ظاهر النص ، وإنما أولها تأويل عقلي معتمداً في ذلك على معتقده الصوفي ؛ الذي تبنى قضية الكشف عندهم فزعموا أولًا أن الصوفي يكشف له معان في القرآن والحديث لا يعلمها

الكتاب الكريم لأبي السعود(٦/ ٢٤٩) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٢٢) ، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٣/١٩) .

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٨٤١/٤).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٧٠).

علماء الشريعة الذين سموهم بعلماء الظاهر[1]، فوقع في التأويل المذموم، ـ والله أعلم ـ .

الآية موضع الدراسة:

قال تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[النمل: ٨٨] .

قول التستري:

قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ قال: "إن الله تعالى نبه عباده على تقضي الأوقات وغفلتهم فيها، فجعل الجبال مثلاً للدنيا، يظن الناظر أنها واقفة معه وهي آخذة بحظها منه، ولا يبقى بعد الانقضاء إلا الحسرة على الفائت الناظر أنها واقفة معه، وهي آخذة"[2].

أقوال المفسرين :

قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ أي تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تمر مر السحاب أي تزول عن أماكنها، كما قال تعالى:﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ [الطور: ٩- ١٠] قال تعالى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾[طه: ١٠٥-١٠٧] وقال تعالى:﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف: ٤٧] وقوله تعالى:﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ أي يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي أتقن كل شيء أي أتقن كل ما خلق، وأودع فيه من الحكمة ما أودع،

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن اليوسف (ص ١٤٧).

(٢) تفسير التستري (ص١١٧) .

﴿إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾ ً أي هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء[١]. وقيل: ﴿تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ أي قائمة ثابتة ،وهذا وصف حال الأشياء يوم القيامة عقب النفخ في الصور، و الرؤية هي بالعين وهذه الحال للجبال هي في أول الأمر تسير وتموج وأمر الله تعالى ينسفها ويفتها خلال ذلك فتصير كالعهن، ثم تصير في آخر الأمر هباء منبثا، صُنْعَ اللَّهِ، والجمود التضام والتلزز في الجوهر، قال ابن عباس جامدة قائمة، ونظيره قول الشاعر النابغة الطويل

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج[٢] [٣]

المقارنة بين أقوال المفسرين وقول التستري :

لو نظرنا إلى أقوال المفسرين في تفسير الآية نجدهم بيّنوا حال الجبال يوم القيامة حيث ينظر إليها الإنسان فيعتقد أنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي في الحقيقة تتحرك كتحرك السحاب وتزول عن أماكنها، وهذا يدل على عظمة الله وقدرته في إتقان كل شيء خلقه، وأودع فيه من الحكمة ما أودع، وأنه عليم بما يفعل عباده من خير وشر، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء. أما قول التستري في تفسير الآية، أنه جعل الجبال مثلاً للدنيا، يظن الناظر أنها واقفة معه وهي آخذة

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ،ط العلمية (١٩٦/٦) ، إرشاد العقل السليم أبي السعود ٣٠٤/٦) ، البحر المحيط لأبي حيان (٢٧٣/٨) ، أنوار التنزيل للبيضاوي ١٦٩/٤) ، زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٣٧٢).

(٢) من قصيدة الحارث بن حلزة، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لابن الأنباري (٤٦١)، وينظر: المعجم المفصل في شواهد العربية للدكتور إميل بديع يعقوب (١٤/٢).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/ ١٠٨) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٢٧٣/٤)، الكشف والبيان للثعلبي (٢٢٩/٧) .

بحظها منه، ولا يبقى للإنسان بعد انقضاء العمر إلا الحسرة، وذكر أن هذا تنبيه من الله تعالى لعباده على غفلتهم وعدم شعورهم بمرور الأوقات.

الخلاصة:

بعد النظر إلى أقوال المفسرين، وقول التستري، تبّين أن تفسير المفسرين للآية هو الصواب لموافقة الآية للسياق، ولاستنادهم لقول ابن عباس رضي الله عنه في معنى جامدة أي قائمة، وهذا وصف حال الأشياء يوم القيامة عقب النفخ في الصور، والرؤية هي بالعين وهذه الحال للجبال هي في أول الأمر تسير وتموج وأمر الله تعالى ينسفها ويفتها خلال ذلك فتصير كالعهن، ثم تصير في آخر الأمر هباء منبثا، وهذا صُنْعَ اللَّهِ ؛ فيتبيَّن بذلك صحة تفسيرهم للآية، أما التستري فقد فسر الآية تفسير مخالفاً للسياق، فيه تأويل للآية على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك عند الصوفية ، فتفسيره لها بهذا المعنى غير صحيح لعدم وروده عن المفسرين، ولمخالفته السياق ؛ فلذا يعد تفسيره للآية من قبيل التفسير بالرأي المجرد ، ـ والله أعلم ـ .

الآية موضع الدراسة:

قال تعالى:﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف:١٥]

قول التستري :

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ﴾ "أي في عبادته جزءاً ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: "إن أحدكم يصلي وليس له من صلاته إلا ثلثها أو ربعها"(١) (١) .

(١) لم أقف على الحديث بنصه، وإنما وجدت حديث بمعناه، "ليس له من صلاته إلا ما عقل" شرح صحيح البخاري، عبد الكريم الخضير، (١٠/١٠).

أقوال المفسرين :

قيل: جعلوا لله نصيب من الولد وهن الإناث. وهذا القول مرويٌ عن: مجاهد، والسُّدي [٢]. كما في لسان العرب: "عند العرب جزءاً بمعنى الإناث، وأجزأت المرأة: ولدت الإناث"[٣].

وقال الطبري رحمه الله: "لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾[الزُّخرُف:١٦] توبيخًا لهم على قولهم ذلك، فكان معلومًا أن توبيخه إياهم بذلك إنما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في إضافة البنات إلى الله جل ثناؤه"[٤]. وقال السمعاني: "النصيب الذي جعلوه لله تعالى هو أنهم قالوا: الملائكة بنات الله تعالى"[٥]، وذهب إلى هذا القول جماعة من المفسرين[٦].

وقيل: عِدلاً. وهذا القول مرويٌ عن: قتادة[٧]. وعِدلاً ؛ أي: ما عبد من دون الله ﷻ كالأصنام ونحوها، كما قال الراغب: "وجَزَأَ الإبل: مَجْزَءاً وجَزْءاً: اكتفى بالبقل عن شرب الماء، وقيل: اللّحم السمين أجزأ من المهزول، وجُزْأَة السكين: العود

---

(١) تفسير التستري(ص١٤٠) .

(٢)) أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (٥٦١/٢٠).

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٤٧/١).

(٤)) جامع البيان للطبري (٥٦١/٢٠).

(٥)) تفسير السمعاني (٩٤/٥).

(٦)) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٦١/٢٠)، معالم التنزيل للبغوي (٢٠٨/٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨/٥-٤٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٧٤/٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢٢/٧)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٧٦٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٨٨/٧-٩٠).

(٧)) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥٦١/٢٠).

الذي فيه السيلان، تصوّرا أنه جزء منه"[1]، وبنحوه قال السمين الحلبي: "جزأ الإبل مجزأ. وجُزءًا: اكتفى بالعلف عن شرب الماء، ومنه الإجزاء عن الشيء وهو الاستغناء عنه، يقال: أجزأ يجزئ إجزاء، واجتزأت بكذا: اكتفيت به"[2].

وقال القرطبي: "عجب المؤمنين من جهلهم إذ أقروا بأن خالق السموات والأرض هو الله ثم جعلوا له شريكاً أو ولداً، ولم يعلموا أن من قدر على خلق السموات والأرض لا يحتاج إلى شيء يعتضد به أو يستأنس به، لأن هذا من صفات النقص"[3].

المقارنة بين أقوال المفسرين وقول التستري :

لو نظرنا إلى أقوال المفسرين في تفسير الآية نجدهم فسروا ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ﴾ على قولين : الأول: جعلوا لله نصيب من الولد وهن الإناث ، والثاني : وعِدلاً ؛ وهو ما عبد من دون الله كالأصنام ونحوها ، أما إذا نظرنا لقول التستري في تفسير الآية نجده فسر قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ﴾ أي في عبادته جزءاً ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلّم يقول: "إن أحدكم يصلي وليس له من صلاته إلا ثلثها أو ربعها".

الخلاصة:

بعد النظر إلى أقوال المفسرين، وقول التستري، تبّين أن تفسير المفسرين للآية هو الصواب لاستدلالهم بالنصوص الثابتة عن السلف ، وموافقتهم للغة العربية في بيان معنى(جُزۡءًاۚ) ؛ فيتبيَّن بذلك صحة القولين في تفسير معنى الآية، وهذا ما قاله ابن تيمية: "وكلا القولين صحيح؛ فإنهم يجعلون له ولدًا، والولد يشبه

(١)) المفردات في غريب القرآن للراغب (ص: ١٩٥).
(٢)) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (٣٢٣/١).
(٣)) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٩/١٦).

أباه؛ لأن الولد جزء من الوالد كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنما فاطمة بضعة مني"[١] "[٢]. أما التستري فقد فسر الجزء بمعنى البعض من الشيء، أي فسرها بالمعنى اللغوي، قال الخليل بن أحمد:" والجزءُ في تجزئة السهام: بعض الشيء.. جَزَّأته تَجزِئةً، أي: جعلته أجزاءً"[٣]، لكن هذا المعنى غير متناسب مع سياق الآية، فتفسيره لها بهذا المعنى غير صحيح لعدم وروده عند المفسرين، ولمخالفته للسياق ؛ فلذا يعد تفسيره للآية من قبيل التفسير بالرأي المجرد،. والله أعلم . .

الآية موضع الدراسة :

قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان:١٠].

قول التستري:

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ قال: "الدخان في الدنيا قسوة القلب والغفلة عن الذكر، ولا عقوبة أعظم في الدنيا من فساد القلب. وقد حكي عن أويس القرني، وهرم بن حيان أنهما التقيا يوماً، فقال هرم لأويس: ادعُ الله. فقال: يصلح لك نيتك وقلبك فلن تعالج شيئاً أشد منهما، بينما قلبك مقبل إذ هو مدبر، وبينما هو مدبر إذ هو مقبل، ولا تنظر إلى صغير الخطيئة، وانظر إلى عظمة من عصيت، فإنك إن عظمتها فقد عظمت الله تعالى، وإن صغرتها فقد صغرت الله تعالى"[٤].

---

(١)) أخرجه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة ﷺ، باب: فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم، (١٩٠٣/٤) ح[٢٤٤٩].

(٢)) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧١/١٧).

(٣) العين للخليل بن احمد (١٦٣/٦) ، ينظر جمهرة اللغة لابن دريد (١٠٤٠/٢)، المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ومجموعة (١٢٠/١).

(٤) تفسير التستري (ص١٤١).

أقوال المفسرين :

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال المفسرون في معنى الدخان قولان :

الأول: عُني بالدخان ما كان يصيب قريش حينئذٍ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان. هذا القول مرويٌ عن عبد الله بن مسعود، وأبي العالية الرياحي، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، والضحاك(١)، وعبد الرحمن الأعرج(٢).

وقال ابن كثير: "﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾[الدخان:١٠]؛ أي: بَيّن واضح يراه كل أحد، وعلى ما فسر به ابن مسعود ﷺ إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الدخان:١١]؛ أي يتغشاهم ويعميهم، ولو كان أمرا خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه يغشى الناس"(٣).

والثَّاني: الدخان آية من آيات الله مرسلة على عباده قبل مجيء الساعة، فيدخل في أسماع أهل الكفر به، ويعتري أهل الإيمان به كهيئة الزكام، قالوا: ولم يأت بعد، وهو آت. هذا القول مرويٌ عن: حذيفة بن اليمان، وعلي بن أبي طالب(٤)، وابن عباس، وابن عمر، وأبي مالك الأشعري، وأبي سعيد الخدري (٥)،والحسن(١))(٢). قال الطبري: "عن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس ذات

(١)) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (١٤/٢١-١٨).

(٢)) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١٨/٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره – محققاً (٣٢٨٧/١٠).

(٣)) تفسير ابن كثير (٢٤٧/٧).

(٤)) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره – محققاً (٣٢٨٨/١٠).

(٥)) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره – محققاً (٣٢٨٨/١٠).

يوم، فقال: «ما نمت الليلة حتى أصبحت»، قلت: لِمَ؟ قال: «قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت»[٣]"، علّق ابن كثير عليه، فقال: "وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما، مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن"[٤]. وقال الطبري: "فإنه غير مُنكر أن يكون أحلَّ بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلاً فيما يستأنف بعد بآخرين دخانًا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٥].

المقارنة بين أقوال المفسرين وقول التستري :

لو نظرنا إلى أقوال المفسرين في تفسير الآية نجدهم فسروا (الدخان) على قولين: الأول: عُني بالدخان ما كان يصيب قريش حينئذٍ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان. والثاني: الدخان آية من آيات الله مرسلة على عباده قبل مجيء الساعة، أما إذا نظرنا لقول التستري في تفسير الآية نجده قال: الدخان في الدنيا قسوة القلب والغفلة عن الذكر، ولا عقوبة أعظم في الدنيا من فساد القلب.

---

(١)) مرويٌ عن الحسن من طريقين: الأوَّل: من طريق بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن، والثَّاني: من طريق ابن الهيثم عن عوف عن الحسن، "وكلا القولان بنفس اللفظ". أخرجه عنهما الطبري في تفسيره (١٩/٢١).

(٢)) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (١٨/٢١-٢٠).

(٣)) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/٢١)، وبنحوه أخرج أبو عمر القرطبي في جامع بيان العلم وفضله، باب في ابتداء العالم جلساءه بالفائتة (٤٦٦/١) (٧٣٠).

(٤)) تفسير ابن كثير (٢٤٩/٧).

(٥)) جامع البيان (٢١/٢١).

الخلاصة:

بعد النظر إلى أقوال المفسرين، وقول التستري، تبّين أن تفسير المفسرين للآية هو الصواب لاستدلالهم بالنصوص الثابتة عن السلف، في بيان معنى الدخان ؛ فيتبيَّن بذلك صحة القولين في تفسير معنى الآية، وهذا ما قاله أبو حيان :"لا شك أنه دخان يغشى الناس: يشملهم فإن كان هو الذي رأته قريش، فالناس خاص بالكفار من أهل مكة، وقد مضى كما قال ابن مسعود وإن كان من أشراط الساعة، أو يوم القيامة، فالناس عام فيمن أدركه وقت الأشراط، وعام بالناس يوم القيامة"(١). وأيّده السعدي بقوله: "وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك، بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة وهذا الذي يظهر عندي ويترجح والله أعلم"(٢)، أما التستري فقد فسر الدخان بمعنى قسوة القلب والغفلة عن الذكر في الدنيا، وعده عقوبة من الله، وهذا التفسير مخالف لتفسير السلف، وللسياق، فتفسيره للدخان بهذا المعنى يعد من التفسير الصوفي الاشاري، وهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك(٣) ؛ فلذا يعد تفسيره للآية من قبيل التفسير بالرأي المجرد، ـ والله أعلم ـ .

الآية موضع الدراسة:

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الشورى: ٢٤]

(١)) البحر المحيط في التفسير (٣٩٩/٩)

(٢)) تيسير الكريم الرحمن (ص ٧٧٣).

(٣) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي (٢٦١/٢) .

قول التستري:

قوله تعالى: ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ ﴾ قال: يختم على قلبك الشوق والمحبة، فلا تلتفت إلى الخلق، ولا تشتغل في حبهم وإتيانهم(١).

أقوال المفسرين :

ذكر السلف قولان في معنى قوله:﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ ﴾

الأول : يختم على قلبك فينسيك القرآن، قاله قتادة(٢) .

والثاني: يربط على قلبك بالصبر على أذاهم فلا يشق عليك ، قاله مقاتل، والزجاج(٣).

والقول الأول قال به الطبري:" (فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ) يا محمد يطبع على قلبك، فتنس هذا القرآن الذي أنزل إليك"(٤)، وأيّده ابن كثير حيث قال:" (يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ) أي: لطبع على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤ -٤٧] أي: لانتقمنا منه أشد الانتقام، وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه"(٥).

---

(١) تفسير التستري (ص١٣٩) .

(٢) أخرجه عنه الطبري(٥٣٢/٢١).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٦٥).

(٤) جامع البيان للطبري(٥٣٢/٢١) .

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٢٠٤).

والقول الثاني قال به النسفي :" ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ ﴾ قال مجاهد أي يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم افترى عَلَى الله كَذِبًا لئلا تدخله مشقة في تكذيبهم"(١)

أما النيسابوري جمع بين القولين :"قوله: ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ ﴾ أي يجعلك من المختوم على قلوبهم فإنه لا يجترىء على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم. والغرض المبالغة في استبعاد الافتراء من مثله والتعريض بأن من ينسبه إلى الافتراء فهو مختوم على قلبه. وقيل: لأنساك ما أتاك من القرآن ولكنه لم يشأ فأثبته فيه، وقيل: لأماتك فإن قلب الميت كالمختوم عليه قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٦] قاله قتادة. وقال مجاهد ومقاتل: يربط على قلبك بالصبر على أذاهم فلا يدخل قلبك حزن مما قالوه"(٢)، وأيّده جماعة من المفسرين(٣)

المقارنة بين أقوال المفسرين وقول التستري :

لو نظرنا إلى أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى:﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ ﴾ نجدهم فسروا الختم على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم على قولين : الأول : يختم على قلبك فينسيك القرآن، ، والثاني: يربط على قلبك بالصبر على أذاهم فلا يشق عليك، ومن المفسرين من فسر بالقول الأول ، ومنهم من فسر بالقول الثاني، وأغلب المفسرين جمعوا بين القولين لصحتهما ولاحتمال

(١) مدراك التنزيل للنسفي(٢٥٣/٣) .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنسيابوري (٦/ ٧٧).

(٣) الوجيز للواحدي (٩٦٤/١) ، تفسير السمعاني (٧٥/٥) ، معالم التنزيل للبغوي (٤/ ١٤٥) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٣٤)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥/ ٨١) ، ارشاد العقل السليم لأبي السعود (٣١/٨) .

الآية للمعنيين. أما إذا نظرنا لقول التستري في تفسير الآية نجده فسر الختم بقوله: يختم على قلبك الشوق والمحبة، فلا تلتفت إلى الخلق، ولا تشتغل في حبهم وإتيانهم.

الخلاصة:

بعد النظر إلى أقوال المفسرين، وقول التستري تبين أن تفسير المفسرين للآية هو الصواب لاستدلالهم بالنصوص الثابتة عن السلف، في بيان معنى الختم على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فيتبيَّن بذلك صحة القولين في تفسير معنى الآية، وهذا ما قاله ابن جزي:" ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ ﴾ فالمقصد بهذا قولان: أحدهما أنه رد على الكفار في قولهم افترى على الله كذبا: أي لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك، ولكنك لم تفتر على الله كذبا فقد هداك وسددك، والآخر أن المراد: إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار وتحمل أذاهم "(١)، أما التستري فقد فسر الختم بمعنى الشوق والمحبة وعدم الالتفات إلى الخلق والانشغال بهم، فهذا التفسير مخالف لتفسير السلف، وللسياق، فتفسيره للختم بهذا المعنى يعد من التفسير الصوفي الاشاري، وهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، أو تفسير بالباطن ؛ فلذا يعد تفسيره للآية من قبيل التفسير بالرأي المجرد ، ـ والله أعلم ـ .

الآية موضع الدراسة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴾ [الفتح:]

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/ ٢٤٨) .

قول التستري:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: "يعني أسرار العلوم في قلبك حتى ظهر عليك آثارها، وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة"(١).

أقوال المفسرين :

ذكر السلف ثلاثة أقوال في معنى الفتح في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾

القول الأوَّل: صلح الحديبية. هذا القول مرويٌ عن البراء بن عازب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعامر الشعبي(٢) .

القول الثَّاني: فتح مكة. هذا القول مرويٌ عن عائشة(٣).

القول الثَّالث: فتح خيبر. هذا القول مرويٌ عن أنس بن مالك رضي الله عنه(٤).

ومن قال بالقول الأول من المفسرين، ابن كثير فقال: "المراد به: صلح الحديبية فإنه حصل بسببه خير جزيل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع والإيمان"(٥)، وبه قال جماعة من المفسرين(٦). "

ويؤيد هذا القول الحديث الصحيح، عن أنس رضي الله عنه

---

(١) تفسير التستري(ص١٤٧) .

(٢)) أخرجه عنهم الطبري في تفسيره (٢١/٢٣٨-٢٤٤).

(٣)) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٥١٠) إلى ابن مردويه.

(٤)) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/٥٠٨-٥١٠) إلى ابن المنذر وابن مردويه وابن أبي شيبة والبخاري والبيهقي. وأخرجه ابن أبي شيبة (٧/٣٨١) في مصنفه، والبخاري في صحيحه (٦/١٣٥) [٤٨٣٤]، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/٣٧٢).

(٥)) تفسير ابن كثير (٧/٣٢٨).

(٦)) منهم: ينظر: المحرر الوجيز (٥/١٢٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٦٠-٢٦١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٨٦).

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[الفتح:١]، قال: «الحديبية»"(١).

أما القول الثاني، فقال به ابن جزي :" فتح مكة وعده الله به قبل أن يكون، وذكره بلفظ الماضي لتحققه، وهو على هذا بمعنى فتح البلاد"(٢)ن ويؤيد قوله الحديث الصحيح، أن النبي صلى الله عليه وسلم: «قرأ يوم فتح مكة، سورة الفتح فَرَجَّعَ فيها»(٣).

والقول الثالث، أنها فتح خيبر، فالمفسرين على أنها كانت وعدًا وعدها الله تعالى(٤)، بعد الحديبية، بقوله: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾[الفتح:٢٠]؛ يعني: صلح الحديبية، وبالمغانم الكثيرة خيبر، قال ابن جزي رحمه الله: "أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح كفتح خيبر وغيرها"(٥).

المقارنة بين أقوال المفسرين وقول التستري:

لو نظرنا إلى أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۙ﴾ نجد السلف فسروا المراد بالفتح على ثلاثة أقوال : الحديبية ، وفتح مكة، وخيبر، وبيّن المفسرين أن الفتوحات مرتبط بعضها ببعض، وأن كل قولٍ من أقوال السَّلف يعني فتحٌ عظيم، قال القرطبي: "فما مضت تلك السنوات –أي بعد صُلح

(١)) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ٱلخ لملىلي مجً [الفتح:١] (١٣٥/٦) [٤٨٣٤].

(٢)) التسهيل لعلوم التنزيل (٢٨٦/٢).

(٣)) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ٱلخ لملىلي مجً [الفتح:١]، (١٣٥/٦) [٤٨٣٤].ومعنى رجّع فيها: أي يرددها بصوت شجي تفاخرًا أمام المشركين.
ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٣٧/١٠).

(٤)) منهم: ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٦١/١٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٨٦/٢).

(٥)) التسهيل لعلوم التنزيل (٢٨٦/٢).

الحديبية– إلا والمسلمون قد جاءوا إلى مكة في عشرة آلاف ففتحوها"[(١)]، وبنحوه قال: الألوسي [(٢)]. أما إذا نظرنا لقول التستري في تفسير الآية نجده فسر الفتح بقوله: يعني أسرار العلوم في قلبك حتى ظهر عليك آثارها، وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة .

الخلاصة:

بعد النظر إلى أقوال المفسرين، وقول التستري، نجد أن المفسرين حملوا معنى الفتح على المعاني الثلاثة، وذكر ابن كثير على هذا المعنى الذي هو صلح الحديبية نفسه، وما انجرَ معه، وترتب عليه، وكان من آثاره، مثل فتح خيبر ومكة، فيكون جمعَ بين الأقوال الثلاثة في هذه العبارة[(٣)]؛ فتبيّن أن تفسيرهم للآية هو الصواب لاستدلالهم بالنصوص الثابتة عن السلف، الذي أيّدته الأحاديث الصحيحة في بيان معنى الفتح، أما التستري فقد فسر الفتح بمعنى أسرار العلوم في قلب النبي صلى الله عليه وسلم حتى ظهر عليه آثارها، وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة . وهذا التفسير مخالف لتفسير السلف، وللأحاديث الصحيحة الثابتة في معنى الفتح ، فتفسيره للفتح بهذا المعنى يعد من قبيل التفسير بالباطن الذي يفسر به الصوفية؛ فلذا يعد تفسيره للآية من قبيل التفسير بالرأي المجرد ، ـ والله أعلم ـ .

(١)) الجامع لأحكام القرآن (٢٦١/١٦).
(٢)) روح المعاني (٢٣٩/١٣).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٢٨/٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي منّ علي بإتمام هذا البحث، ومن خلاله توصلت إلى عدد من **النتائج أهمها** :

أولاً: يعد التستري صوفي المذهب ، وظهر أثر ذلك على تفسيره .

ثانياً: لم يفسر التستري القرآن كاملاً .

ثالثاً : أغلب تفسير التستري من قبيل التفسير الاشاري والصوفي معتمداً في ذلك على مذهبه .

رابعاً: أحياناً نجد التستري يفسر بعض الآيات بالمأثور مستنداً في ذلك لأقوال السلف، وأحياناً أخرى يوافق المفسرين في تفاسيرهم .

خامساً: يفسر بعض الآيات بالباطن ويكون مقصده من تفسير الآيات صحيح ، إلا أنه يخالف الظاهر.

سادساً: . أغلب تفسير التستري من قبيل التفسير بالرأي المجرد.

التوصيات :

أوصي طلاب العلم والباحثين بالاهتمام بدراسة تفسير التستري دراسة تحليلية، وبيان الآيات التي اعتمد فيها على التفسير بالمأثور، والآيات التي وافق فيها المفسرين ، وكذلك الآيات التي فسرها بالرأي المجرد ؛ حتى يكون الناس على بصيرة من هذا التفسير .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

ـ الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)
المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .
ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.
ـ بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي .
ـ البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي،
المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
ـ البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
ـ التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

ـ التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي ،الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

ـ تفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.

ـ تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

ـ تفسير القرآن العظيم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ .

ـ تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

ـــ تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه: أ.د.علي بن سليمان، دار التوبة، المملكة العربية السعودية ، الرياض الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ.

ـ التفسير اللغوي للقرآن الكريم: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.

ـ التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

ـ جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

ـ الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر دار الكتب المصرية، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

ـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

ـ جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م. ثم صورتها عدة دور منها: دار الكتاب العربي – بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دار الكتب العلمية– بيروت.

ـ دراسات في علوم القرآن الكريم: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

ـ زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
ـ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.
ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت ٣٢٨هـ)،
تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف [سلسلة ذخائر العرب (٣٥)]، الطبعة: الخامسة.
ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.
ـ صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، عام النشر: ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥م.
ـ طبقات المفسرين للداوودي: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
ـ علوم القرآن الكريم: نور الدين محمد عتر الحلبي الناشر: مطبعة الصباح – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

ـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م .

ـ العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ

ـ القاموس الفقهي لغة واصطلاحا: الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م.

ـ فتاوى ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، المحقق: د. موفق عبد الله عبد القادر، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى.

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مجدي بن عبد الخالق الشافعي، إبراهيم بن إسماعيل القاضي، السيد عزت المرسي، محمد بن عوض المنقوش، صلاح بن سالم المصراتي، علاء بن مصطفى بن همام، صبري بن عبد الخان لق الشافعي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

ـ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
ـ فيض الباري على صحيح البخاري: (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (ت ١٣٥٣هـ)، المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بدابهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧ هـ) أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه،
تحقيق: عدد من الباحثين، الناشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
ـ اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
ـ لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

ـ مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ،المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

ـ محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

ـ المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١ – ٤٠٥ هـ)،

حقّقه وخرّجه وعلّق عليه: عادل مرشد (جـ ١، ٤، ٧ بالاشتراك، ٩)، د أحمد برهوم (جـ ٢)، د محمد كامل قرة بلي (جـ ٣، ٥، ٦)، د سعيد اللحام (جـ ٧ بالاشتراك، ٨)، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.

ـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس ،

الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

ـ معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.

ـ معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

ـ المعجم المفصل في شواهد العربية: د. إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

ـ معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

ـ المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

ـ المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ.

ـ مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان . الطبعة:١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

ـ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

ـ الموسوعة الحديثية «المسند المحيط المعلل: عبد اللطيف الهميم، الناشر: ديوان الوقف السني – العراق، الطبعة: الأولى، (١٤٣٤ – ١٤٣٧ هـ).

ـ موسوعة علوم القرآن: عبد القادر محمد منصور، الناشر: دار القلم العربي – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

ـ الموسوعة القرآنية: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤هـ)، الناشر: مؤسسة سجل العرب
الطبعة: ١٤٠٥ هـ.

ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

ـ الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية . دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٣- ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت . الطبعة الجزء: ١ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠.